

الاقتباس القرآني في مقامات ابن الجوزي

The Quranic Excerpt in Al-maqamat by Ibnul Jauzi

د. محمد أويس

رئيس قسم العربي، الكلية الإسلامية الحكومية، لاهور كينيت

Abstract

This study aims to discuss the existence of Iqtibas (excerpt/ quotation) in the maqamat of Ibul Farj Ibnul Jauzi. Maqama (المقامة) is a unique kind of Arabic Literature, which is also called "rhymed prose" (النثر المسجوع) written in a highly accomplished, unique and unmatched style.

Badiuz Zaman Hamazani introduced this genre in Arabic Literature, who was a Famous Arabic writer of Fourth Islamic Century. Many writers followed him in this literary genre and wrote Arabic Maqamat, one of those writers, is a famous Islamic scholar Abul Farj Ibnul Jauzi, who also authored many Islamic books.

Ibnul Jauzi wrote best Islamic Arabic Maqamat, his Maqamat are full of literary merit and values. This study reveals the presence of literary excerpts (الاقتباسات) in his Maqamat. Excerpt is one of those literary features which can be often seen in his Maqamat. His Maqamat are full of different excerpts from literary texts, although the verses of Holy Quran have the biggest part in this case.

In this article, the excerpts from the Holy Quran given in the maqamat of Ibnul Jauzi have been expressed.

Key Words: Maqama, Abul Farj Ibnul Jauzi, characteristics, Excerpt, Quotation, Holy Quran.

المقامة أو المقامات من الصنائع الأدبية في اللغة العربية، إنها مثل أسطورة أوقصة محكية بأسلوب عديم المثال وممتنع النظير، وعرفت المقامة بأنها "القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية، أو فلسفية، أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون"⁽¹⁾ وكذلك قيل عن المقامات بأنها: "قطعة نثرية مسجوعة، قصيرة الفقرات، ذات طول معين لا تتجاوز في طولها مقام واعظ يتحدث إلى جمهوره"⁽²⁾.

يعد هذا النوع الأدبي من أصعب ما كتب وما فهم في اللغة العربية، فإن المقاميين تميزوا باستخدام أغرب الكلام وأصعب التعبيرات الأدبية وإتيان المحسنات اللفظية والمعنوية معاً، ولكن مع وجود هذه المشكلة والصعوبة التف إليها الناس منذ قديم ومازالوا. فإن المقامات تدرس في الجامعات والمدارس للحصول على ملكة باهرة في مجال اللغة العربية.

اختلف النقاد فيمن ابتدع فن المقامة ولكن أكثرهم يرون بأن بديع الزمان الهمداني هو رائد فن المقامة في اللغة العربية، وحذا حذوه كثير من الكاتبيين والأدباء، منهم العالم الكبير والمحدث الجليل أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، فقيه ومحدث ومؤرخ ومتكلم وأديب، ولد وتوفي في بغداد في القرن السادس الهجري. نال بشهرة واسعة ومكانة مرموقة في العلم والوعظ والكتابة، وله كتب كثيرة ترجمت إلى عدة لغات، بلغ المراتب العالية في كثير من العلوم والفنون وفاق فيها، يقول عنه العلامة الذهبي: "الشيخ الفاضل المسند بدر الدين أبو القاسم علي ابن الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن الجوزي البكري البغدادي الناسخ. ولد في رمضان سنة إحدى وخمسين وخمسائة."⁽³⁾

اشتهر ابن الجوزي في العلوم الإسلامية وكان من رجال الدين وكان من الواعظين المسلمين، وله مؤلفات كثيرة قيمة ومتمينة في مجال الدين، ولكن مع ميزاته في الكتابة عن العلوم الدينية الإسلامية طار صيته في الأدب العربي، وصار من الأدباء البارعين في اللغة العربية وكان من الكتاب الذين أثروا فيمن بعدهم، ومن كتبه الأدبية مقاماته المسماة بـ "مقامات ابن الجوزي المقامات الجوزية في المعاني الوعظية" هذا الكتاب من أهم الكتب الأدبية نشرت عنه. طبعت ذلك الكتاب دار فوزى للطباعة بالقاهرة سنة 1980م بتحقيق الدكتور محمد نغش، وما وجدت أي طبعة غير طبعة مكتبة دار فوزى للطباعة، وإن كانت هذه المقامات توجد في صورة المخطوطات.

تحتوي مقامات ابن الجوزي على الأنواع الأدبية المتعددة، منها الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم. والاقتباس هو "تضمين الكلام نثرًا، أو نظمًا شيئًا من القرآن، أو الحديث النبوي الشريف"⁽⁴⁾

وعند بعض النقاد الاقتباس هو "تضمين الكلام كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله⁽⁵⁾، أو من حديث الرسول ﷺ"⁽⁶⁾

وكذلك عرف الاقتباس هو "أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزيينًا لنظامه، وتضخيمًا لشأنه"⁽⁷⁾

أكثر ابن الجوزي بالاقتباس للقرآن الكريم حتى لا يضاهيه أحد من كتاب المقامة في اقتباسه من القرآن، فمنذ بداية مقاماته إلى نهايتها لا تخلو من اقتباس للقرآن وتضمينه مقاماته، يبدأ ابن الجوزي مقاماته بقصص الأنبياء فيأخذ منه المقامات الخمس الأولى لم يسبقها إلا مقامة واحدة ذكر فيها بعض القصص على لسان الحيوان. ولما كان ابن الجوزي على علم بأهمية القصة في القرآن الكريم فقد سار على نفس خطاه فبدأ أول ما بدأ بها، ومن منطلق هذه الأهمية وفي ضوءها يمكن لنا القول إن أغراض القصة في القرآن الكريم تصب كلها مجتمعة في القلب، ليعمل فيه الإيمان وترسخ أصوله، لذا وجدنا القصة مقترنة بالعبارة الجليلة والعبارة الغالية، وكما

يقول محمود السيد الحسن: "فالقرآن كتاب دعوة أولاً وقبل كل شيء وفي تضاعيف القصص لأخبار الأولين يزداد غرض الدعوة وضوحاً ويتبين منهجها الذي تحدو البشرية إليه، لا يختلف وإن اختلفت العصور، ومن هنا كانت أهمية القصة للداعية. فتثبيت العقيدة، وترسيخ قوائمها في أفئدة المؤمنين من خلال الأحداث القصصية الغابرة من أعظم أغراض القصة القرآنية، إلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (8)» (9)

والباحث في مقامات ابن الجوزي يفهم أن الفن الأدبي القصصي عنده يمتلك جميع متطلبات هذا الفن من السرد والواقعية وعناصر الشخصيات والأحداث والزمان والمكان.

من خصائص أسلوب ابن الجوزي كثرة الاقتباس والتضمين من كتاب الله عز وجل ومن حديث الرسول ﷺ وتضمينها المقامات الوعظية، وتمكنه له ذاكرته القوية الواعية، وله أسلوب بارع قصصي استفاده من القصص القرآنية خاصة ومن الأدب العربي على سبيل العموم، على سبيل المثال يقول ابن الجوزي في مقامته المسماة "في وصف قاص": "لما خلق الله تعالى آدم ألقاه كاللقى فلما نفخ فيه الروح مات الحاسد فرقاً، ثم أمر الملائكة بالسجود، فتطهروا من غدیر لا علم لنا، وغودر الغادر بخساً لكبير أنا خير منه، فلما جرى على آدم القدر بالزلزل نزل" (10)

فقد بدأ ابن الجوزي وعظه بقصة خلق آدم عليه السلام وأمر الله للملائكة بالسجود، ثم ذكر قصة إبليس الذي أبي أن يسجد، فأسلوبه في بيان هذه القصة مستفادة ومقتبسة من آيات القرآن الكريم، ويترشح من هذا أن أهم المصادر في بيان القصص عند ابن الجوزي هو كتاب الله عز وجل.

وبعد ذكر قصة آدم عليه السم لم يترك ابن الجوزي السبب الذي دعاه إلى ذكرها، فانبرى يعظ قائلاً: "أخواني إياكم والذنوب فإنها أذلت عزيز اسجدوا" (11) يعني به إبليس الذي عصى أمر ربه فأذله، فالوعظ كان من وراء ذكر ابن الجوزي

لقصة آدم وأبليس معه.

وفي المقامة نفسها انتقل لذكر قصة هاروت وماروت فقال: "نقبوا عن خيار نقبائكم، فانتقوا ملك الملكوت، وَمَا زُوا فَمَا رَأَوْا لِمِثْلِهَا مِثْلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" (12) وقال ابن الجوزي في هذه القصة مقتبساً من القرآن الكريم: "فَاتَّخَذُوا لِنَلِكِ الْوَارِدَةِ وَرِدًا مِّن تَضَرَعٍ وَيَسْتَعْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ" (13). أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (14)

ومن الجدير أن نذكر هنا أن ابن الجوزي لم يمنع نفسه من الإتيان بالروايات الضعيفة وخاصة الإسرائيلية في مقاماته، كما نرى في قصة هاروت وماروت التي سبقت إليها الإشارة.

وبعد قصة هاروت وماروت أتى ابن الجوزي بقصة سيدنا نوح عليه السلام التي تبدأ بالأمر بالإنذار الذي استغرق عمر أجيال كثيرة فقال: "أنذر الخلق ألف سنة إلا خمسين عاماً" (15) مستفاداً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (16)

إن نوحاً عليه السلام معه الحق وقومه معهم الباطل، وتحمل كل التفاصيل حين يعلن موقف الرفض فتأتي النهاية، يقول ابن الجوزي: "فغربت شمس الأنظار، فادهمت عقاب العقاب، فلما انسدت الظلمة، وفات النور، وفار التنور، فتخلف خلف نوح، خلف من ولده، فمد يد الحنو ليأخذه بيده: يا بني اركب معنا، فقيل: إنه قد أهلك، إنه ليس من أهلك" (17) قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ (18). أما من تخلف عنه والذي مد إليه يد الحنو ليأخذه بيده، يا بني اركب معنا: ﴿يَا بَنِيَّ ارْكَبْ﴾ (19). ويطوى بقية الحوار إلى نهايته "فقيل إنه قد أهلك، إنه ليس من أهلك"، ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (20)

والقصة ينتقى منها مقطع العبرة والعظة، والتي تكاد تكون في جميع قصص القرآن؛ ذكر النهايات. إلا أنه هنا بعد ذكر القصة لا يفوته أن يستفيد من أعظم

مافيهـ وكلها عظيمـ - وهي حقيقة الولاء، والبراء، فنوح عليه السلام حينما تتحرك فيه جوانب الأبوة، وشفقة النبوة يعلمه الله كيف تقنن هذه المشاعر وممن تتصل، ولمن تصرف (إنه لئس من أهلك) فكل صلة بعيدة عن صلة العقيدة فهي ميتة فابن نوح ليس منه بكفره.

ثم ينتقل بنا ابن الجوزي إلى قصة عاد التي يغفل فيها المسميات والأشخاص ويبقى الحدث، تطوى فيه سجلات الحوار والزمان والمكان إلى النهاية المحتممة للرفض العاجز بجهل الحقيقة قدرة الله، يؤكد ذلك عدم إدراكهم الحقيقة الأمر حتى حين رؤيتهم للريح المرسلة، "أقل مافعل بعادٍ بعادٍ، عادَ عليهم الهوى فامتد المقصور سحب سحب العذاب ذيل الإدبار، بإقباله إلى قبالتهم فظنوه لما اعترض عارض مطر، فصاح بلبل البلبل: بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ فَرَحَتْ رِيحُ الدَّبَّورِ لَكِي تَسْمُ الأَدْبَارَ، بكِي الإِدْبَارِ"⁽²¹⁾. وهكذا يمضي إلى قوله: "ولا أفلعتُ حتى فُلُوعِ قِلاعِهِمْ، فدامت عَلَيهِمْ أَفَةٌ وَدَاءٌ، لا يقبل فداء، سَبَعَ لِيالٍ وَثمانية أيام حُسوما"⁽²²⁾. وفي ذلك يقول تعالى واصفاً لهذه الريح: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَرْصَرٍ عَائِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾⁽²³⁾.

ويستمر ابن الجوزي في ذكر قصص الأنبياء فيأتي بقصة النبي صالح عليه السلام يستعرضها من بدايتها "فإن رأيت أن تجود بقصة ثمود، فقال لما أَعْرَضُوا عَنْ كُلِّ فَعَلَ صالِحٌ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ لِإِصْلاحِ صالِحٍ"⁽²⁴⁾، مقتبساً من قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽²⁵⁾.

وتطوى الأحداث إلى الإشارة للآية التي جاءهم بها: "فاحتج عليهم ناقه هَوَاهُمْ بطلب ناقه، فَخَرَجَتْ مِنْ صَخْرَةٍ صَمَاءٌ تَقْبِقُ، وفصل عَنها فَصِيلٌ يَزْعُو، فقال: جاءكم الوحي لها شَرِبَ وَلَكُمْ شِرْبٌ"⁽²⁶⁾. وهذه يلخصها القرآن حين قال على لسان صالح عليه السلام: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾⁽²⁷⁾.

وعلى الرغم من أن هذه الآية كانت تحذرهم من عدم تنفيذ أوامر الله فإنهم قابلوها بالتحدي والهزء "فَضْرَبَ أَشْقَاهُمْ بَطْعَنًا، فَتَعَاطَى فَصَبَّ عَلَيْهِمْ

صَبَّ صَابٌ صَاعِقَةٌ" (28) وفي هذا إشارة سريعة لما نزل عليهم من عذاب: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ صَعَقَةً الْعَذَابِ أَلِيمًا كَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (29).

ويأتي بعد ذلك بقصة لوط بعيداً عن بداياتها كما وردت في القرآن الكريم بإرسال لوط عليه السلام، والتفصيل ببشاعة جرماتهم الخلقية، والمحاورات الطويلة بينه وبينهم واستنصاره بريه، ونزول الملائكة مروراً بسيدنا إبراهيم عليه السلام وتبشيره بغلام، ثم الإخبار عن الأمر الثاني ممثلاً في نزول العذاب على قوم لوط عليه السلام؛ لتأكيد النهاية والتي تبدأ من زيارة الملائكة في صورة البشر الضيفان لسيدنا لوط عليه السلام: "جَاءَهُ ضَيْفٌ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يُهْرَعُونَ، فَدَافَعَ بِمَشُورَةٍ هَوْلَاءِ بَنَاتِي، وَبَتْفَاءٍ فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَبَسْوَالٍ فَلَا تُخْزُونَ فِي ضَيْفِي، وَبَتَوْبِيخٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ" (30) كل ذلك يجمعه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (31).

ويستمر ابن الجوزي في ذكر قصص الأنبياء في المقامة التالية ويذكر قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام منذ بدايتها البعيدة عن القرآن الكريم حين يقول: "ولما خاض المخاض في خضم أم إبراهيم، خرجت من خيف الخوف إلى حير التحير تهيم، فَوَضَعْتُهُ فِي نَحْرٍ قَدِ يَسُّ، وَغَطَّتْهُ بِالْحَلْفَا لِيَلْتَبَسَ" (32) هذه بداية المقامة عند ابن الجوزي، أما البداية الحقيقية فهي من المواجهة التي تمت بينه وبين عدو الله النمرود: "فلما ترعرع أَحْضَرَهُ نَمْرُودٌ، فَأَحْضَرَ فِي مِيدَانِ الدَّلِيلِ، فَأَرَاهُ قَمْرَ الْهُدَى فِي حَجَّةِ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيَمِيتُ، فَقَابَلَهُ بِسَهَا السَّهْوِ فِي ظَلَامٍ أَنَا أُحْيِي وَأَمِيتُ، فَسَوَّدَ وَجْهَهُ جِبْهَتَهُ بِفَحْمَةِ الْإِفْحَامِ، فَأَلْقَاهُ كَاللِقَاءِ عَلَى عَجْزِ الْعَجْزِ بِأَفَاتٍ فَأَتَ بِمَا فَبِهَتْ" (33).

وهذا اقتباس من نص القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (34).

ثم ما كان من أمر المواجهة بينه وبين قومه عندما كسر أصنامهم في يوم

عيدهم تأكيداً على عجزها فقال: "ثُمَّ دَخَلَ عَلَى الْأَصْنَامِ وَقَتِ الْفَرَاغِ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ" (35). يقول الله تعالى في ذلك: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (36).

ثم المقطع المتعلق بعقوبته على ما فعل: "فجردوه من بُردٍ بَرِدِ العَدْلِ إِلَى حَرِّ حَرْقَوْهُ فَسَبَقَ بَرِيدَ الْوَحْيِ إِلَى النَّارِ بِلِسَانِ التَّفْهِيمِ: "يا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمِ" (37). وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمِ﴾ (38).

وانطلق بعد ذلك ليذكر هجرة إبراهيم عليه السلام فقال: "ثُمَّ إِنَّهُ هَاجَرَ بِإِسْمَاعِيلَ وَهَاجَرَ فَأَلْقَاهُمَا بِمَكَّةَ، وَرَجَعَ لَمَّا رَجَعَ إِيَّيْ أُسْكِنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بَوَادِ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ" (39). ولا يخفي أن هذه العبارة مقتبسة من دعاء إبراهيم عليه السلام الذي أنزل الله تعالى في سورة إبراهيم.

ثم ما كان من أمر ابتلائه واختباره فيكون صفي الله وخليله، وكان المقدم من مثله أن يذبح ابنه بما أوحى إليه فصدق ما كان، وصدق الإيمان، يقول صاحب المقامة: "فَلَمَّا كَابَدَ الْخَلِيلُ وَحَشَّةَ فَرَاغِهِ، ابْتَلَى بِذَبْحِ إِسْحَاقَ، بَيْنَا هُمَا عَلَى تَلٍّ وَتَلَّةٍ وَجَاءَهُ بِشِيرٍ قَدْ صَدَقَتْ الرُّؤْيَا فَارْتَدَّ أَعْمَى الْحَزَنِ بَصِيرًا" (40). يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ (41) ويترشح من عبارة ابن الجوزي يرى أن إسحاق عليه السلام هو الذبيح، ولكن أكثر العلماء الإسلاميين يرون أن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام كما يثبت من النصوص الدينية والقرائن التاريخية.

هكذا يسير ابن الجوزي في وعظه معتمداً على القصص، يتكئ عليه؛ ليلبغ ما يريد، ويصل به إلى أبعد الأثر، فبعد أن انتهى من قصص الأنبياء السابق ذكرهم عرج على قصة شعيب (42)، ويوسف، وأيوب، وموسى (43) و داود وسليمان، وعيسى عليهم السلام، وقصة أصحاب الكهف (44)، وخاتم النبيين مُحَمَّد ﷺ وسيرته العطرة ابتداءً بولادته ورضاعته مروراً على حادثة شق الصدر وخروجه للتجارة، ومقابلة الراهب بحيرا، ثم تكليفه بالرسالة (45) مع عرض معجزته.

ولعلك لحظت أن ابن الجوزي في مقاماته هنا واعظ يتعامل مع مكامن التأثير في النفس ليعمل فيها الإيمان وترسخ أصوله ولذا وجد القصص مقترن الخطى بالعبارة الجلييلة، وقد نجح المؤلف من خلال تعريجه على الأحداث القصصية الغابرة مستفيداً من قصص القرآن الكريم، الذي كان له عظيم الأثر في تثبيت العقيدة وترسيخ قوائمها في أفئدة المؤمنين. مستعيناً بقصص الأنبياء، وغير الأنبياء، مركزاً على تصوير نهاياتهم نتيجة كبرهم وتكذيبهم، بعد أن أدرك أن الزمن يمضي، والناس يقطعون الطريق كأن لم يكن شيء مما كان. الإعراض وقسوة القلوب تجمع الجميع في دائرة واسعة، تنتهي مثل هذه النهايات التي ألقى عليها كل انتباهه من بين كل الأحداث بمواقعها الحاسمة، وماورد فيها من انفعالات صارمة، وحركات عنيفة لا بد أن توقظ الإحساس، فلامح التأثير بآيات القرآن الكريم واضحة قوية، معتمداً على ماورد فيه من أحداث متخلصاً من الاستطرادات الطويلة، فكل نقط الدائرة فيها مشدودة برباط وثيق إلى محورها الوعظي الأصيل الذي يثير القلق الغامض والخوف، بعد أن غمر جوانب الاسترخاء في النفوس حتى لا تطمئن إلا بالإيمان.

هكذا عرض ابن الجوزي قصصه والتي هي قصص القرآن الكريم متكماً منذ البداية، وهو يضع الخطوط الأولى لمقاماته على ملامح الشخصيات التي يجمعها الكبير والعناد وينتقي لهذه الشخصيات - غالباً - النهايات فقط من بين جميع الأحداث، فهو لا يلبث حين يقف عند خطوط القصة الأولى حتى يشير إلى خطوطها الأخيرة في حياة أقوام تستقبل الدعوات بانفعال وانفجار ثم فناء وزوال، وكانت جميع الأمم السابقة تضطرب بين هاتين الخطتين حتى الصراع بين الخير والشر.

وما اكتفى ابن الجوزي بالاعتباس من القصص القرآنية فقط بل جاوز إلى كثير من الآيات القرآنية واستلهم منها الألفاظ والتراكيب والأسلوب، وما أحسن هذا الاعتباس: "بيننا مترفهم قد اطمأن إنه ظن أن لي يحور"⁽⁴⁶⁾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾⁽⁴⁷⁾

وقوله: "كأنك بالأمر قد فصل وحصل ما في الصدور"⁽⁴⁸⁾ مقتبس من

قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ (49)

وقوله في المقامة السابعة والثلاثين: "من أولئك الأشرار، فأنا أدعوهم إلى النجاة ويدعونني إلى النار" (50) اقتبس فيه لقوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ (51)

وفي قوله: "أفي الله شك، فقلت لِنفسي: كيف شك من شك" (52) اقتباس من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكٌّ﴾ (53)

وقوله في المقامة التاسعة والأربعين: "فأخذ الشيخ يذم الإخوان على عاداته ثم قال: وما وجدنا لأكثرهم من عهد" (54) مقتبس من كلام الله عزوجل في سورة الأعراف: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ (55)

الباحث في المقامات العربية ينتج إلى أن المقاميين لجأوا إلى الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم، ولعل السبب في ذلك يعزى إلى إمامهم بكتاب الله الكريم وفهمهم لمعانيه، وتدبرهم لآياته، إلا أن لابن الجوزي النصيب الأوفر من تلك الاقتباسات، ويراجع ذلك لنشأته الدينية، وحفظه لكتاب الله، وهو يشرب معاني القرآن الكريم وألفاظه، فحين كتب مقاماته فإنه لم يكن في غيبة عن حفظ آيات الله وبالتالي تضمينها، وكان الوعظ نصب عين ابن الجوزي عندما كتب مقاماته، وليس هناك أفضل من القرآن ليعظ به، فكان لذلك الاقتباس أثره في تحقيق الوعظ وأحد العوامل المؤثرة منه.

ويرى بعض الناس أن المقامات العربية هو الانشغال بالألفاظ والتراكيب والتصنع فقط، ولكننا إذا نبحت في مقامات ابن الجوزي يظهر لنا أن هذا الفن له مقصد كبير، وهو النصح والإرشاد والتربية، وبدون أي ريب أن هذا المقصد من أعظم مقاصد الأدب.

الحواشي والمصادر

1 - زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع الهجري، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2010م.
ص 185

- 2 - عصام أبو شندي: نقد النثر العربي في كتابات إحسان عباس، عمان: دار الشروق، ط1، 2006م. ص 114
- 3 - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22 ص353
- 4 - المناوي، محمد عبد الرؤف: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1410م. ج2 ص 81
- 5 - بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، لبنان: دار الجليل، 1987م. ص 519
- 6 - الحلبي، شهاب الدين محمود: حسن التوسل إلى صناعة الترسل، تحقيق أكرم عثمان موسى، بغداد: دار الرشيد، 1980م. ص 323. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق عليو ملحم، بيروت: مكتبة الهلال، ط2، 1991م. ص342. القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف على طويل، دمشق: دار الفكر، 1987م. ج2 ص 342.
- 7 - الرازي، فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق إبراهيم السامرائي ومحمد بركات حمدي أبو علي، عمان: دار الفكر للنشر، 1985م.
- 8 - سورة هود، آية: 120
- 9 - محمود السيد حسن: روائع الإعجاز في القصص القرآني، إسكندرية: المكتب الجامعي الحديث. ص 61-63
- 10 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، القاهرة: دار فوزى للطباعة، 1980م. ص: 14-15
- 11 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 16
- 12 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 17
- 13 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 17
- 14 - سورة الشورى، آية: 05
- 15 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 17
- 16 - سورة العنكبوت، آية: 14
- 17 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 17
- 18 - سورة هود، آية: 37-40
- 19 - سورة هود: آية: 42
- 20 - سورة هود: آية: 46
- 21 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 18
- 22 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 18
- 23 - سورة الحاقة، آية: 6-8
- 24 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص: 19

- 25 - سورة الأعراف، آية:73
- 26 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص:19
- 27 - سورة الشعراء، آية:155-156
- 28 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص:19
- 29 - سورة فصلت، آية:17
- 30 - ابن الجوزي: المقامة الثانية- في وصف قاص، ص:19
- 31 - سورة الحجر، آية: 61-62
- 32 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة، ص:26
- 33 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة، ص:26-27
- 34 - سورة البقرة، آية:258
- 35 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة، ص:27
- 36 - سورة الصافات، آية: 88-93
- 37 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة، ص:27
- 38 - سورة الأنبياء، آية: 68-70
- 39 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة، ص:27-28
- 40 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة، ص:28
- 41 - سورة الصافات، آية: 102-106
- 42 - ابن الجوزي: المقامة الثانية، ص:20
- 43 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة، ص:30-37
- 44 - ابن الجوزي: المقامة الرابعة، ص:39-45
- 45 - ابن الجوزي: الخامسة والسادسة، ص:46-52
- 46 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة والثلاثون، في وعظ السلطان، ص 273
- 47 - سورة الانشقاق، آية:14
- 48 - ابن الجوزي: المقامة الثالثة والثلاثون، في وعظ السلطان، ص 273
- 49 - سورة العاديات، آية:10
- 50 - ابن الجوزي: المقامة السابعة والثلاثون، في العزلة، ص 299
- 51 - سورة غافر، آية: 41
- 52 - ابن الجوزي: المقامة الأولى، في حكم الأشياء، ص7
- 53 - سورة إبراهيم، آية:10
- 54 - ابن الجوزي: المقامة التاسعة والأربعون، في ذم الدنيا، ص 404
- 55 - سورة الأعراف، آية:102